

الخطبة السادسة والثمانون

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم، أما بعد: هناك قاعدتين أساسيتين ذكرهما الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وجاءتا بصيغة الأمر:

1. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوْنَ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2 / 5].

قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾: فعل أمر يقتضي الوجوب في كل مجال تستطيع أنت أن تقدم فيه عون ومساعدة ومساندة في أي مجال من مجالات الخير؛ لأن ﴿الْبِرَّ﴾ تعريفه: هو كل ما يؤدي إلى خير أو منفعة، البر هو كل ما يؤدي إلى تأليف القلوب وشد أواصر الأخوة والمحبة، البر هو فعل أو قول يرضي الله سبحانه وتعالى.

والتقوى معناها أن تصون نفسك وتحميها، التقوى أن تتقي غضب الله سبحانه بالابتعاد عن محرماته وما نهى عنه، التقوى الطاعة التامة لما أمر به من الطاعات والعبادات، التقوى أن تجعل أعمالك خالصة لله سبحانه وتعالى، فقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ أي: تعاونوا على قدر استطاعتكم بإقامة الخير أيّاً كان وتحروا في فعلكم لهذا الخير ولهذا البر أن يكون هدفكم مرضاة الله والخوف من عصيانه وغضبه وعقابه. ثم نهى الله سبحانه وتعالى عن أن تتعاونوا

على الإثم والذي هو مقابل البر، والإثم تعريفه: هو كل ما أدى إلى شر ومنكر وسوء، والعدوان هو الاعتداء على حقوق الله وأوامره، والاعتداء على حقوق الناس أيًا كانت مادية ومعنوية وفيزيائية وحقوقية، والاعتداء على نفسك هو ظلمها وأن تجعلها مستحقة لغضب الله وعقوبته، ثم يخوِّف الله سبحانه الناس بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوه واحذروا غضبه واحذروا مخالفة شرعه لأن الله سبحانه شديد العقاب، وعلامات التقوى هي:

1. الخوف من غضب الله تعالى.
2. الإيمان التام بالغيب والأخص الآخرة وما فيها من العذاب.
3. التصديق التام بما قاله الله تعالى، وبما قاله رسوله عليه الصلاة والسلام.
4. ترك المنكرات والحرام.
5. إقامة العبادات ومحبتها والإخلاص بها.
6. التواضع لله تعالى والتذلل له ومداومة ذكره وطلب مغفرته والإنابة إليه والتوبة إليه عند الخطأ والزلل.
7. تعظيم شعائره وأوامره والعدل والإنصاف في الأقوال والأفعال.
8. البعد عن الظلم والعدوان.

قال بعض أهل العلم: إن هذه الآية الثانية من سورة المائدة هي الآية المعجزة الجامعة للخير كله والتقوى، والناهية عن الشر والمنكر كله والعدوان على الحقوق، وتحذير من الله تعالى وتخويف منه وتعريف به وبخصائصه.

2. ما القاعدة الثانية، فهي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110/3]، الخيرية في هذه الأمة أن من خصائصها الأمر بالمعروف، والمعروف هو كل أمر أو عمل أو قول يرضاه الله سبحانه ويرضاه رسوله عليه الصلاة والسلام، المعروف هو الأمر الذي لا خلاف في خيره، المعروف الذي عرفه الناس بأنه الخير والفضل، وأن صاحبه يُثاب عليه في الدنيا والآخرة، وتنهون عن المنكر، والمنكر هو ما أنكره الله

ورسوله ولم يقبله للمؤمنين، المنكر هو انحراف وزيف وضلال وشر يجب إزالته ومحاربتة. ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طاعة لله وكسباً لمرضاته، طمعاً في جنته وخوفاً من ناره، تصديقاً بوعدته وخوفاً من وعيده، تصديقاً وطاعة وامثالاً لأوامره، وتصديقاً وامثالاً لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، هذا كله لأنكم تؤمنون بالله، وهذا هو تحقيق الإيمان بالله، فالخير يأتي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمعنى آخر إنه: ليس فينا خير إن لم نأمر بالمعروف ونهَى عن المنكر هذا يستلزم ذلك.

3. لو جمعنا القاعدتين معاً نرى أنه واجب علينا بصيغة الجمع، كلنا واجب علينا لأن الله تعالى قال:

1. وتعاونوا.
2. ولا تعاونوا.
3. تأمرون.
4. وتنهون.
5. وتؤمنون.

صيغ جمع؛ أي: أن الأمة كلها مطالبة بهذه الأمور؛ لأن في هذه الأمور:

1. طاعة لله.
2. وحض على الخير.
3. سلامة للمجتمع.
4. وخيرية.
5. ودوام سعادة.
6. ودحض للشر والفساد.
7. وتحقيق للإيمان.

1. لولا التعاون والتقوى، ما استطاع المسلمون (3000) أن يواجهوا عشرة آلاف في غزوة الأحزاب أو الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، اجتمعت قريش، وكنانة (الأحابيش)، وغطفان (فزارة- بنو مرة- وأشجع)، وبنو أسد، وسليم، يهود بني النضير، يهود بني قريظة. وحاول بني النضير قتل النبي عليه الصلاة والسلام، ونقضوا العهد معه، وقد استغرق حفر الخندق (15) يوماً من العمل المضني للصحابة الكرام ورسول الله ﷺ على رأسهم.

2. لولا التعاون والتقوى ما استطاع المسلمون أن يذهبوا إلى تبوك وإلى حنين، وتبرعات المسلمين، وتبرعات عثمان، وطلحة بن عبيد الله، وأبو بكر وعمر عليهم رضوان الله جميعاً.

3. لولا التعاون والتقوى ما استطاعوا أن يدكوا عرش كسرى وقيصر .
 4. لولا التعاون والتقوى ما استطاع المسلمون أن يبنوا مسجد رسول الله ﷺ في اثني عشر يوماً .

﴿وَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2 / 5] يشمل كل مظاهر الحياة، فعندما يكذب ابنك معناه أن هناك من أعانه، وأن هناك من تعلم منه، فأنت خالفت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2 / 5] والكذب من أكبر الإثم، إما أنه تعلم الكذب من أهله، أو أن أهله لم يعلموه أن الكذب إثم وحرام ومنقصة، وليست من خلق الإسلام، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة» صحيح موقوف - الدارقطني، المؤمن لا يخون ولا يكذب، لأن ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105 / 16].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» البخاري.

وأكبر الكذب وأشنعه وأسوؤه أن يكذب الإنسان على ربه وعلى رسوله وعلى دينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21 / 6]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 169 / 2].

هذه هي خطوات الشيطان:

1. الأمر بالسوء أياً كان.
2. الأمر بالفحشاء أياً كان.
3. وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهي الطامة الكبرى، أن تكذب بشرع الله وآياته وأحكامه وعباداته.

2. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 2 / 208]، خطاب للمؤمنين بأن يستظلوا بظل الإسلام ويعيشوا تحت تعاليمه إيماناً ومحبة وتصديقاً وتطبيقاً، والحيد عن الشريعة هو اتباع لخطوات الشيطان وزيغه وضلاله وغوايته.

3. قال تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 6 / 142]، الله سبحانه وتعالى الذي يرزقكم ويعطيكم ويحلل لكم ويحرم عليكم، كلوا مما حلله الله لكم، واتبعوا تعاليمه فالخير كل الخير فيما أمر به الله وحلله، ومخالفة ذلك من خطوات الشيطان وغوايته.

4. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: 24 / 21]، بين الله سبحانه وقرر بأن الشيطان عدو لكم وليس كأبي عدو وإنما هو عدو مبين، والعدو اللدود ماذا يريد؟ يريد هلاكك وعذابك وشقاءك لذلك هو لا يأمرك إلا بالفحشاء والمنكر، يبدأ بالأعلى والفحش الأكبر ألا وهو الكفر والشرك، فإذا لم يقدر عليك نزل درجة فأمرك بالعصيان، فإذا لم يستطع أمرك بترك العبادة، فإذا لم يستطع أمرك بالشهوات كبيرها ثم صغيرها، وهكذا حتى يجد باباً يدخل به عليك، لا يكل ولا يمل هذا دأبه وهذا حاله، وحيله كثيرة ومدخله كثيرة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 35 / 6].

أعود إلى القول بأن أمر الله سبحانه وتعالى واضح بالتعاون على البر والتقوى، فتعليم الأولاد، والالتزام بشرع الله وأوامره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من لوازم كل فرد أن يقوم بها في أسرته وفي جماعته مع أصحابه وأحبابه وأقربائه، وفي كل مكان يستطيع أن يقول فيه كلمة الحق، وأن يطبقها على نفسه، فالإنسان مُراقب من قبل أهله وأولاده وخِلائه، فكيف تستطيع أن

تأمر ابنك بالصدق وأنت لا تفعله أو أنك تخالف ذلك؟! كيف لك أن تأمر ابنك بالصدقة وأنت شحيح بخيل؟! كيف تأمر أولادك بالنظافة وأنت ترمي القاذورات يمينة ويسرة؟! كيف وكيف وألف كيف... ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 5 / 2] بفعلكم البر، بإقامتكم على الخير، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 5 / 2] بفعله، والقول به وممارسته، والدعوة إليه جاداً أو مازحاً، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم (1677)، ومن حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً» مسلم (1017)، لذلك يجب على الإنسان تطبيق هاتين القاعدتين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى:

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 5 / 2]، وقوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 3 / 110]، ويجب التنبيه والتأكيد لقوله سبحانه، الخيرية في هذه الأمة تكمن في ثلاثة أشياء:

1. الأمر بالمعروف.

2. النهي عن المنكر.

3. الأمر والنهي إخلاصاً لله تعالى وإيماناً بثوابه وخوفاً من عقابه، أمّا إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمصلحة ذاتية كفاءة أو إظهاراً للعلم أو لتحصيل منصب أو رفعة أو ذكر بين الناس أو... فهذا العمل لا يقبله الله تعالى ولا يكن فيه خير، ولا صاحبه دخل تحت كتتم خير أمة، فالخيرية بالإخلاص لله والعمل بشرعه والأمر بما أمر به سبحانه والنهي عما نهى عنه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 2 / 197]، يعلم الله

المخلص من غيره، وخير ما يلقاه ابن آدم يوم القيامة هي تقواه وطاعته لله سبحانه،
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة، فقالوا يا
نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟
قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة» البخاري (1445) - مسلم
(1008).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

